الخليج العربي المجلد السابع والعشرون العدد (١-٢) ١٩٩٥
مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة - جمهورية العراق

النظام الشرق أوسطي بين الخليج العربي وفلسطين (*)

الدكتور ذياب مخادمة
كلية العلوم الاقتصادية والادارية
الجامعة الأردنية

مقدمة

تعالت الأصوات المتحدثة عن "النظام الشرق أوسطي الجديد" في الآونة الأخيرة، وازدادت حدة ذلك بعد أم المعارك وما أدت اليه من نتائج سواء تلك التي وقعت على صعيد العراق أو على مختلف الأصعدة، وخاصة منها الحصار السياسي واخراجه من المعادلة السياسية الجديدة التي رسمت للمنطقة لفاعليته دوره وتأثيره في المعادلة السياسية وباتجاه آخر فيما لو بقي على وتيرة النمو والتقدم قبيل الحرب، وسواء تلك المتعلقة بالواقع العربي وما آلت اليه نتائج الحرب من حالة من التراجع والركود وبل أحياناً من الاحباط.

(*) بحث ألقي في الندوة العلمية الموسومة " الخليج العربي والنظام الشرق أوسطي" التي عقدها مركز دراسات الخليج العربي للمدة من ٢٣-٢٤/٤/١٩٩٤ .

الحديث عن النظام الشرق أوسطي الجديد، فهو قديم قدم اهتمام الغرب الاستعماري في المنطقة، فقد ترافق مع الحملات الاستعمارية الأولى وخاصة منها تلك التي ظهرت في بداية هذا القرن وعلى وجه التحديد بعد الحرب العالمية الأولى، في مواجهة بدايات ظهور الحركة القومية العربية مع نهاية الهيمنة العثمانية على المنطقة ليعود ويخبو مع تصاعد المد القومي العربي، ويظهر مرة أخرى مع تراجع هذا المد وتقهقره، وكان العلاقة بين الاثنين جدلية، وعلى الرغم من ان هذا المصطلح قد ظهر مع الحملات الاستعمارية الأولى الا اننا نلاحظ أنه برز بشكل واضح وعبر عن نفسه فيما بعد بتقسيم المنطقة بما عرف باتفاقية "سايكس بيكو"، وتصاعد فيما بعد يعبر عن نفسه بزرع اسفين في قلب الوطن العربي وذلك بزرع دولة الكيان الصهيوني في هذه المنطقة وازداد تفاعل هذا المصطلح في أواسط الخمسينات ليعبر عن نفسه بما عرف بـ "حلف بغداد" لا ان تصاعد المد القومي قد تصدى لهذا المشروع وأفشله، لكن هذا المصطلح عاد للظهور مرة أخرى بشكل مشروع الرئيس الأمريكي أيزنهاور بما عرف بالحلف الاسلامي، الا ان حدة التصدي القومي لهذا المشروع قد تصاعدت لتدفعه الى الوراء بعيداً، لكنه عاد للظهور مرة أخرى أثر الاتفاقيات المصرية (الاسرائيلية) ومعاهدات كامب ديفيد، الا ان الحديث عن النظام الشرق أوسطي بقي محصوراً في نطاق ضيق جداً لم يتجاوز الدولتين بينما بقي محصوراً أكثر في النطاق الرسمي بينهما.

وبعد أم المعارك تصاعدت وتعالت الأصوات في الحديث عن النظام "الشرق أوسطي الجديد"، بل يمكن القول انها الأصوات الأقوى منذ رفع الشعار مبكراً لدرجة أصبحنا نشعر ان هذا النظام الاقليمي الجديد أصبح على أبوابنا.

لكن ما طبيعة هذا النظام؟ ما هي مفاهيمه؟ وما هي علاقة أحداث المنطقة بهذا النظام؟ ولماذا ظهر واضحاً بعد أم المعارك؟ ولماذا هذا التسارع في المفاوضات العربية (الاسرائيلية) بعد أم المعارك مباشرة وتزامن ذلك مع تعالي الأصوات حول النظام الشرق أوسطي الجديد، هذه الأسئلة وغيرها ما تحاول هذه الورقة المتواضعة البحث عن أجوبة أو اثارة أسئلة أخرى حولها آملين أن تثير هذه الورقة الأسئلة أكثر مما تقدم الاجابات.

النظام الاقليمي العربي

مصطلح "النظام الاقليمي" بشكل عام "والنظام الاقليمي

العربي" (١) بشكل خاص اشار جدلاً واشكالات انقسم الباحثون فيه الى اتجاهين رئيسيين الأول ينكر كلياً وجود مثل هذا النظام فيما يؤكد الثاني على حقيقة وجود مثل هذا النظام منذ ظهور الحركة القومية العربية والخلاف بين هذين الاتجاهين متأثر من الاختلاف حول تحديد مفهوم واحد متفق عليه لهذا النظام ومن ثم فلكل معياره في ذلك.

الاتجاه الأول: يرى ان مضمون هذا المصطلح هو في قيام مؤسسة اقليمية تضم وحدات سياسية ذات مصالح مشتركة وينظم علاقاتها وتفاعلاتها نظام قانوني له سلطة الردع وعلى ضوء ذلك فان النظام الاقليمي العربي ليس موجوداً وعلى الأقل لم ينشأ بعد، فحتى جامعة الدول العربية التي من الممكن أن تمثل الحد الأدنى المعبر مؤسساتياً عن النظام الاقليمي العربي تخرج من هذا المفهوم لأنها تفتقر الى هيكل تنظيمي متماسك بحكم علاقاته وتفاعلاته نظاماً قانونياً له سلطة الردع، بل انها ومنذ قيامها قبل زهاء أربعين عاماً لم تتطور على الأقل بهذا الاتجاه بل ان المراقب لهذه المسيرة يلاحظ أنها تسير بالاتجاه المعاكس، ويرى أصحاب هذا الاتجاه بأن العامل الزمني قد لعب دوراً سلبياً بهذا الموضوع بحيث انه كرس الدولة القطرية بخصوصياتها ومعطياتها التي حدت ان لم تكن قد منعت قيام مثل هذا النظام.

أما الاتجاه الثاني: فيؤكد على وجود مثل هذا النظام أي النظام الاقليمي العربي، وحجة هذا الاتجاه منطلقة من مفهومه للنظام الاقليمي بشكل عام والنظام الاقليمي العربي بوجه خاص، فيرى انه ليس المقصود بالنظام الاقليمي بأن هناك وجوداً مادياً لمؤسسة دولية لها نظمها وقوانينها وهياكلها وقياداتها، بل المقصود هو ادراك الترابط والتداخل القوي بين وحدات وظواهر مجموعة معينة من الدول وتفسير هذه الظواهر وصياغة قوانين عامة لها، فالنظام الاقليمي ليس شيئاً وليس موجوداً في الواقع انما هو تصور نظري عن مجموعة من القواعد التي يمكن صياغتها رياضياً (٢) من خلال تحليل مختلف النشاطات الظاهرة للأشياء، على اعتبار ان هناك علاقات بين متغيرات هذا النشاط الظاهر وان هذه العلاقات هي تباحث في حالة حركة Stationary State وعليه فالنظام الاقليمي ليس شكلاً مؤسساتياً لمجموعة من الوحدات السياسية له القدرة على التحكم في سلوك هذه الوحدات وقياداتها باتجاه

---

(١) د.أحمد يوسف أحمد- العرب وتحديات النظام "الشرق أوسطي" المستقبل العربي - عدد ١ - بيروت ١٩٩٤، ص ٥٦.

(٢) جميل مطر و د.علي الدين هلال - النظام الاقليمي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، كانون الأول ١٩٧٠، ص ص ١٥-١٨.

أهدافها بل هي علاقة توافق بين وحدات معينة أكثر نشاطاً وكثافة من علاقاتها مع وحدات أخرى. هذه الوحدات تدخل في تفاعلات فيما بينها تدريجياً بحيث يظهر نتيجة لذلك نسيج من العلاقات فيما بينها يطبعها بطابع مميز من علاقاتها مع الوحدات السياسية الأخرى (٣).

ان تميز هذا التفاعل وكثافته يجعل من الوحدات السياسية الداخلة فيه تظهر كحالة متميزة عن غيرها من الوحدات السياسية الأخرى، وكلما تعمقت العلاقة بينها وتكاثف التفاعل كلما أصبح هذا النظام أكثر تميزاً وأكثر استقلالاً عن غيره من النظم الأخرى، ولكن هذا لا يعني بالضرورة التناقض مع النظم الأخرى، بل يجب أن يكون هناك توافق وعدم تضاد معها لأن مجموع النظم الاقليمية سوف تترك بصماتها على النظام الأشمل وهو النظام الدولي، فالنظم الاقليمية بقدر ما تكون متميزة عن بعضها البعض ولكل سماته الخاصة به بقدر ما يكون متوافقاً ومنسجماً ومن ثم مع النظام العالمي ككل.

النظام الاقليمي ليس مستقراً، فهو في حالة حركة قد تتضمن التفاعلات وتتكاثف وتتجذر سمات بشكل أكثر وقد يكون العكس، قد تضعف التفاعلات بين وحداته وتضعف بحيث تفقد تميزها ومن ثم تماسكها كمجموعة.

وقد يظهر النظام الاقليمي عند شعور بعض الدول بأن هناك مصلحة مشتركة حيال مسألة ما، حيث تدفع الدول المعنية الى التنسيق والتقارب تلبية لهذه المصلحة المشتركة (٤).

وقد يظهر النظام الاقليمي كذلك نتيجة لانتماء مجموعة من الدول لقومية أو ثقافة أو لغة أو دين مشترك... الخ تجعل هذه العوامل الدول المعنية تتقارب من بعضها البعض وترتبط فيما بينها بتفاعلات من نوع خاص، واذا ذهبنا مع هذا المفهوم للنظام الاقليمي فان السؤال الذي يطرح نفسه أين النظام الاقليمي العربي من كل هذا؟

ان النظام الاقليمي العربي يستند الى جملة من المقومات يقف على رأسها الانتماء القومي لشعوب مختلف الوحدات السياسية العربية، مما خلق رصيداً هائلاً من المشاعر القومية لدى الجميع التي شكلت بدورها دعماً اجتماعياً كبيراً في التوجه نحو التقارب بل نحو الوحدة، لقد شكلت المسألة القومية للأمة العربية حافزاً ودافعاً مستمراً نحو التقارب بحيث ان مختلف الأنظمة السياسية

---

(٣) د. أحمد يوسف أحمد- العرب وتحديات النظام "الشرق أوسطي" - مصدر سابق ص ٥٧.

(٤) د. محمد السيد سعيد - مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج شباط ١٩٩٢ ص ١١.

العربية القطرية لم تستطع تجاوز هذه المشاعر واضطرت مجاراتاً لذلك بأن تجعل شعارها أيضاً شعار الوحدة على الرغم من تناقض ذلك في ممارستهم، اضافة الى الانتماء القومي فان الجوار الاقليمي لهذه الدول قد ساعد هو الاخر في سرعة التعاون والتفاعل داخل هذا النظام ونظراً لأهمية هذا العامل فقد شكل انشغالاً للغرب الاستعماري بحيث أسفر هذا الانشغال فيما بعد بزرع دولة الكيان الصهيوني في قلب هذا الوطن.

على ضوء ذلك فيمكن القول ان النظام الاقليمي العربي ترافق وتزامن مع ظهور الحركة القومية العربية في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن وتعمق أكثر مع انتشار الفكر القومي العربي، على الرغم من انه لم يعبر عنه بشكل مؤسساتي الا قبيل أواسط هذا القرن، حينما أنشئت الجامعة العربية عام ١٩٤٥ (٥).

وحيث ان هذا النظام يمتلك كل مؤهلات بنائه بشكل فعال لم تتح لنظم اقليمية أخرى الا انه لم يتقدم بالشكل الذي تسمح له هذه المعطيات، بل على العكس من ذلك فهو في حالة تراجع وتقهقر بل ان هناك من يذكر امكانية قيام نظام اقليمي عربي، لماذا لم يرقى هذا النظام الى الآمال المعقودة عليه؟ ولماذا لم يتقدم ويفرز مؤسساته على الرغم من انفراده بمعطيات لم تتهيء لغيره.

في الحقيقة ان هناك عوامل عديدة منها داخلية متعلقة بالحركة الوطنية العربية وكذلك بالأنظمة السياسية العربية ومنها خارجية تمثل باستمرار بالتحدي الاستعماري الأجنبي، وشكل هذا باعتقادنا العامل الأكثر فاعلية في ايصال الوضع العربي الى ما هو عليه اليوم من التجزئة والتشرذم والتخلف، وحالة الاحباط العامة وذلك عبر سلسلة من المخططات والمشاريع الاستعمارية العديدة ويأتي مشروع "النظام الشرق أوسطي الجديد" تعبيراً حديثاً عن هذا التحدي الخارجي الذي أخذ أشكالاً متعددة على الرغم من انه يستند الى استراتيجية واحدة تدافع عن مصالح واحدة.

الغرب والنظام الشرق أوسطي الجديد

خلفية تاريخية

استندت الاستراتيجية الاستعمارية في المنطقة الى ان مصلحتها تتطلب الاستمرار في السيطرة على المنطقة ونهب

---

٥) جميل مطر - و د.علي الدين هلال - مصدر سابق ص ٢٩.

خيراتها والابقاء على مصالحها فيها التي تمحورت حول النفط والموقع الستراتيجي، واذا ما أدركنا ان الخليج العربي يمثل عنوان الأولى وان فلسطين تمثل العنوان الثاني ندرك مدى الارتباط ما بين فلسطين والخليج العربي.

لقد كتب الكثير في هذين المضمارين وما مدى المصالح الغربية فيهما ولكن الذي يعنينا في هذا البحث هو الموقف الغربي وكذا المخططات والبرامج التي وضعت لتحقيق هذه الغاية، ومن هنا أجد لزاماً ان تتوقف المطامع الاستعمارية في المنطقة.

الأطماع الاستعمارية في المنطقة

ان أطماع الدول الغربية في المنطقة قديمة العهد نظراً لما يمثله موقعها الجغرافي من أهمية اقتصادية وعسكرية ودينية، وتشهد الغزوات الصليبية على مدى قوة هذه الأطماع ومداها، كما تشهد هذه الغزوات على وحدة المصير العربي أمام التحديات التاريخية الكبرى وخطورة الاستعمار على الوجود الحضاري للعرب، ولقد استعاد الغرب اهتمامه بالمنطقة العربية في أعقاب الاحتلال البريطاني للهند في القرن السابع عشر كما أيقظت حملة بونابرت على مصر وفلسطين في أواخر القرن الثامن عشر أطماع بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المنطقة بشكل أكثر مباشرة نظراً لما أنطوت عليه حملة نابليون من تهديد خطير لمصالح بريطانيا في الهند (٦).

وكان ذلك يتطلب باستمرار عدم السماح لقيام أية قوة حقيقية محلية في المنطقة، وهكذا أثار بروز محمد علي باشا في مصر قلق بريطانيا الذي تحول فيما بعد الى تدخل عسكري عندما هزمت جيوش محمد علي بقيادة ابنه ابراهيم باشا الجيوش العثمانية ووصلت سوريا ومصر وفلسطين مهددة بذلك استانبول عاصمة الدولة العثمانية ومصالح الدول الغربية في المنطقة. ان ما عرف بالمسألة الشرقية دفع بريطانيا الى اتباع سياسة الالتزام بالحفاظ على المصالح التجارية البريطانية في المنطقة وذلك عن طريق الحيلولة دون قيام دولة موحدة في مصر وسوريا تهدد نفوذ ومصالح الدول الأجنبية ومع مطالع هذا القرن وتراجع الدولة العثمانية اثر الوهن الذي أصابها وبروز بريطانيا دولة استعمارية تعد نفسها لوراثة؛ "الرجل المريض"، الدولة العثمانية في المنطقة، ظهر ما عرف

---

(٦) د. عبدالوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٩٠ ص ٢٢.

بتقرير (٧) "بنرمان" نسبة الى رئيس الوزراء البريطاني الذي تولى الحكم بأسم حزب الأحرار عام ١٩٠٥ والذي طالب بتشكيل جبهة استعمارية موحدة من الدول الاستعمارية ذات المصالح المشتركة في الشرق الأوسط، التي تمثلت حينها بفرنسا، وبلجيكا، وهولندا، والبرتغال، وايطاليا، واسبانيا، وتهدف هذه الجبهة اضافة الى وقف المد الالماني حماية مصالح هذه الدول في المنطقة التي أخذت الأخطار تحدق بها، حيث شكلت لجنة كبار الاخصائيين في شتى المجالات الاقتصادية والتاريخية والبترولية والاجتماعية والسياسية ... الخ، وقد حددت أهداف هذه اللجنة في الكلمة التي وجهها لها بنرمان والتي جاء فيها على شكل تساؤل: هل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار "الاوربي" وانهياره أو تؤخر مصيره، وقد بلغ الآن الذروة وأصبحت أوربا قارة قديمة استنفذت مواردها وشاخت معالمها، بينما لا يزال العالم الآخر في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية، هذه هي مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف بقاؤنا وسيطرتنا (٨).

وقد انتشر الخبراء من أعضاء هذه اللجنة مدة عامين في أنحاء مختلفة من دول العالم للبحث والدراسة في ما يمكن أن يساعدهم في مهمتهم هذه حيث عادوا واجتمعوا عام ١٩٠٧ وتوصلوا الى خلاصة نوجزها بالآتي:

"ان الأخطار المحدقة بالاستعمار لا تأتي من جهة الممتلكات الحرة أو من الهند والشرق الأقصى أو من المستعمرات الافريقية، ان الخطر يكمن في منطقة البحر الأبيض المتوسط باعتبار هذا البحر هو همزة الوصل بين الشرق والغرب ولأن أمة واحدة تسيطر على شواطئه في آسيا وأفريقيا، وان الأديان السماوية نشأت في هذه المنطقة وان الأمة العربية ذات جذور تاريخية وعقائدية سماوية راسخة في المنطقة، كما تضم هذه المنطقة قناة السويس شريان الحياة وفيها برزخ السويس الذي يصل آسيا بأفريقيا، وتشرف أيضاً على البحر الأحمر، وخليج العرب حيث طريق الهند، وانتهى المؤتمر الى العديد من القرارات ومنها ما يخص بحثنا مباشرة وهو ما يشير الى "ان سكان المنطقة لهم وحدة التاريخ والدين واللغة والثقافة والآمال وجميع مقومات التجمع والترابط والاتحاد وتتوافر لديهم الثروات الطبيعية وان السكان يعتقدون بنزعات تحريرية نحو الاستقلال والحرية (٩).

---

(٧) المصدر السابق ص ٢٢.

(٨) المصدر السابق ص ٢٣.

(٩) حسن صبري الخولي - سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين مجلد ١ ص ١١٤-١١٥، القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢.

كيف يمكن أن يكون وضع هذه المنطقة العربية اذا توحدت؟ وماذا يحدث لو انتشر التعليم وعمت الثقافة في أوساط هذا الشعب؟ وما هو مصير هذه المنطقة اذا تحررت وتمكن أبناؤها من استغلال ثرواتها الطبيعية لمصالحهم؟ وكانت الاجابة على هذه التسؤلات "عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتماً" بالامبراطوريات الاستعمارية، وعندها ستنجز أحلام الاستعمار في الخلود، فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار، كما انهارت امبراطوريات الرومان والاغريق وغيرهم " وفي مجابهة وقوع مثل هذه الحالة فان المؤتمر وضع استراتيجية تهدف الى العمل على استمرار هذه المنطقة في حالة متأخرة، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تشكك وجهل وتأخر والعمل على تجزئة المنطقة بقدر الامكان ومحاربة اتحاد دويلاتها أو ارتباطها بأي نوع من أنواع الارتباط الفكري أو التاريخي أو الروحي. وكذلك العمل على فصل الجزء العربي في آسيا عن الجزء العربي في أفريقيا جغرافيا وبشرياً" وزرع جسم بشري قريب شمال برزخ السويس يفصل عرب آسيا من عرب أفريقيا، هذا اضافة الى العمل على منع العلم والتكنولوجيا الحديثة على سكان المنطقة واستقطابه من المتعلمين منهم (١٠).

وعلى الرغم من ان السرية أحاطت هذا التقرير، وشكك العديد بمدى وجوده فان سير الاحداث منذ ذلك الوقت الى يومنا أكبر دليل على صحة وجود مثل هذا التقرير على الاقل في ذهنية الساسة الغربيين على مدار العقود التسعة الماضية. وما تعاني منه الامة العربية اليوم بعد مرور ما يقرب التسعة عقود على مثل هذا التقرير لهو أكبر دليل على صحة ووجود مثل هذا التقرير أو مثل هذا التوجه الاستعماري ازاء المنطقة (١١).

وهكذا فان الهدف الاستعماري الرئيسي ازاء الامة العربية عبر التاريخ كان يركز على ضرورة تدمير الحضارة العربية الاسلامية ليتمكن الاستعمار من الاستمرار في السيطرة على المنطقة ونهب خيراتها، والابقاء على مصالحه فيها (١٢).

---

(١٠) انطون كنعان - فلسطين والقانون - تقرير كامبل بانرمان - بحث منشور في مصنف جلسات المؤتمر الثالث لاتحاد المحامين العرب المنعقد في دمشق ١٩٥٧- ص ٤٠٧-٤٨٦ .

(١١) د.سهيلة الريماوي - تقرير كامبل بانرمان - بين القبول والرفض -المجلة الثقافية- الجامعة الاردنية العدد التاسع ١٩٨٥-١٩٨٦ ص ٩٤-٩٢ .

(١٢) عودة بطرس عودة - القضية الفلسطينية في الواقع الدولي - عمان ١٩٧٠ ص ٢١٣ ط١ .

التحدي العربي للمصالح الغربية
ما الجديد في الأمر؟

من كل ما تقدم يبدو انه قد أصبح بديهياً لتكراره، على الرغم من ان مواجهته والاستعداد العربي لهذه التحديات لم تصل لدرجة الأولويات، الا ان الجديد كان غائباً عن أذهان الجميع، الذي أتى على هاتين المصلحتين الرئيسيتين للغرب في المنطقة دون سابق انذار الا وهي:

أ) الانتفاضة في فلسطين.

ب) حالة النهوض العراقية بعد قادسية صدام.

أ) الانتفاضة في فلسطين

كل شيء كان عادياً في المنطقة ولم يخرج عن المألوف الذي تعودت عليه، خاصة بعد الاجتياح (الاسرائيلي) للبنان الهادف الى القضاء على البنية التحتية الفلسطينية التي مثلت منظمة التحرير الفلسطينية، قاعدتها الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، قابله ارتخاء دولي ازاء أزمة الشرق الأوسط. وازاء هذا الوضع خرج الفلسطينيون على العالم باسلوب جديد لمناهضة الاستعمار ومقارعته وهو التصدي لآلة (اسرائيل) العسكرية الحديثة، بالحجارة وكان لهذا الاسلوب الجديد أكثر من معنى وأكثر من مغزى، ففي غضون أيام قليلة اندلعت الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي العربية المحتلة، وانتشرت من مخيم الى آخر ومن قرية الى أخرى ومن حي الى آخر، وامتدت لتشمل كل فلسطين التي أصبحت ميداناً للمواجهة مع العدو، يقف الجميع للمشاركة بحماس في هذه الاحداث وأصبح أبناء فلسطين جميعاً يشكلون جيشاً واحداً في ظاهرة جديدة تحدث لأول مرة بهذه الشمولية في تاريخ المنطقة، انتفاضة عريضة واسعة عميقة في آثارها المباشرة يتحدى فيها المواطنون العزل الآلة من ايمانهم بعدالة قضيتهم واحداً من أكثر الجيوش العالمية ارهاباً حيث ظهر شعب موحد بعد أن ألغى مختلف الفروقات الطبيعية والطائفية والمصلحية الذاتية وأصبح الجميع يشكلون وحدة واحدة يدفعهم في ذلك اتصال ثقافي وتاريخ مضغوط من الطاقات اليومية لمعاناة طويلة قابلة للانفجار في أي لحظة ومنها استاذ (اسرائيلي) متخصص في شؤون الحركة الوطنية الفلسطينية "يوها شابورات" بأنها المرة الأولى التي توجد فيها حركة شبيبية تشمل جميع الطبقات وكافة مجموعات الشعب ومنها مخيمات اللاجئين التي تقف على الخط الأول الا ان القرى النائية جداً وسكان المدن يقفون في صف واحد مع المواجهة انه شعب بأكمله يثور وذلك يخلق تجربة وطنية مشتركة في

الافق (١٣).

لقد ضم اطار الانتفاضة منذ البدء كافة ابناء الشعب الفلسطيني من أقصى اليمين الى أقصى اليسار بغض النظر عن الدين والجنس وأصبحت الانتفاضة تمثل أسلوب حياة جديدة للمجتمع الفلسطيني بأسره وهكذا فان حركة نضالية من نوع جديد وغير متوقع وخارج اطار كل الحسابات (الاسرائيلية) وتوقعاتها، قد طرحت نفسها وطرحت حالة كبيرة وعامة يشارك بها شعب بأكمله، أوقعت من الاحراج والتوتر أكثر ما أوقعت من الخسائر المادية للجسم (الاسرائيلي) انها عمل جديد خارج كل الحسابات المتوقعة وهذا ما أذهل العدو (الاسرائيلي) وخلق الذعر في صفوفه.

حالة النهوض العراقي:

ابان الحرب العراقية الايرانية، وقف الغرب موقف الداعم لهذا الطرف حيناً وللطرف الاخر حيناً آخر وكان يهمه بالدرجة الأولى استمرار الحرب ما دامت حقول النفط لم تصلها النيران وما دام النفط يصل اليه بشكل عادي فطيلة سنين الحرب الثمانية، لم تتأثر أسعار النفط أو مقدار اخراجه، ومن ثم فان استمرار الحرب بقي لمصلحة الغرب، فعلاوة على الخسائر المادية الهائلة فان الغرب يرغب بتدمير الحضارة العربية الاسلامية العريقة التي تشكل منافساً حضارياً بآثار تاريخية له، فقد اعتقد بعض محللي سياسة الغرب ان العراق القومي العلماني في حربه مع ايران الاسلامية، سيقوم أو على الاقل بمساعدتهم بتحقيق هذه الامنية.

الا ان المفاجأة ان العراق قد خرج من الحرب وهو أصلب عوداً وأقوى عزيمة وشهر كقوة قوية في المنطقة أذهلت الجميع خاصة في دفاعه عن الحضارة العربية الاسلامية، على الرغم من العلمانية فقد أخذ يركز في وسائله الاعلامية والثقافية أكثر من أي وقت مضى على العروبة والاسلام والترابط العضوي بينهما ويعطي أهمية خاصة لجوانب الحضارية الاسلامية حيث كثرت المؤتمرات والندوات الاسلامية وكذلك المطبوعات والابحاث المختلفة بهذا الجانب.

الدخول العراقي الى الكويت

الاجواء السياسية المناهضة للعراق أخذت في التصاعد

---

(١٣) د.صائب عريقات - ندوة حول أزمة الخليج - تحت رعاية مركز بيان للبحوث والانماء في مدينة رام الله عقدت بتاريخ ١٩٩٠/٩/١٥ ونشرت في جريدة النجر المقدسية بتاريخ ١٩٩٠/٩/١٩.

منذ مطلع عام ١٩٩٠، وبدأت الحملات الاعلامية الغربية والحروب النفسية والسياسية والاقتصادية ضد العراق قبيل أزمته مع الكويت وقبيل دخول قواته الى الأراضي الكويتية، فكان الجو مهيئاً لعدوان (اسرائيلي) على العراق، بحجج ودوافع مختلفة (امتلاكه لأسلحة كيمياوية وأخرى جرثومية محرمة دولياً، صناعات عسكرية استراتيجية تستطيع تدمير جوانب كبيرة من (اسرائيل) فيما اذا انطلقت من الأراضي العراقية ... الخ (١٤).

وقطعاً للطريق على مثل هذا العدوان الذي هيأته وسائل الاعلام الغربية، أعلن العراق وعلى لسان رئيس الجمهورية، انه يمتلك أسلحة كيمياوية من نوع يعرف بالمزدوج وانه قادر على حرق أو تدمير نصف (اسرائيل) على الاقل اذا ما حاولت الأخيرة شن عدوان على أراضيه، وهنا شنت (اسرائيل) ووسائل الاعلام الغربية المرتبطة بها حملة اعلامية بقصد تشويه العراق، وأظهرت العراق كأنه يريد تدمير (اسرائيل) بالأسلحة الاستراتيجية الجديدة التي يمتلكها وتبعتها في ذلك بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وأخذت وسائل الاعلام الغربية تبرز عناوين رئيسية "العراق يهدد بتدمير نصف (اسرائيل)" "العراق سيهاجم (اسرائيل) بالأسلحة الكيمياوية" "صدام حسين يهدد باحراق (اسرائيل)" ثم تبع ذلك حملة اعلامية مكثفة ضد كل ما يستورده العراق من صناعات وقطع تكنولوجية، وتركزت على الأنابيب الضخمة التي يستوردها لأهداف صناعية حيث أظهرتها وسائل الاعلام الغربية على انها مدفع عملاق جديد من نوعه، يعمل العراق على تصنيعه بهدف تدمير (اسرائيل)، ثم حملة الاعلام على ما عرف بـ "المشكلة الذرية" "وقطع دقيقة للصناعات الذرية" (١٥).

وهكذا فقد رسمت وسائل الاعلام الغربية صورة للعراق في الذهن الغربي بأنه ذلك الوحش الذي يريد أن يبتلع المنطقة بكافة الوسائل الحربية، وعلى رأسها تلك الأسلحة المحرمة دولياً وبدأت المقاطعة الغربية ضد المستوردات العراقية تحت حجة أن العراق يعد العدة لصناعات ذرية.

واتسعت المقاطعة للعراق لتشمل العديد من الدول، بل أخذت تصادر بعض الأجهزة التكنولوجية المعدة للتصدير للعراق تحت هذه الحجة، وملاحقة قطع ما عرف "بالمدفع العملاق" في بريطانيا وتركيا وبلغاريا ... الخ، ورافق هذه الحملة احياء الصورة القديمة عن العرب بأن حالة التخلف والهمجية البربرية تتحكم بأكثر من ٥٠٪ من نفط العالم الذي تقوم عليه الحضارة العربية، ومن ثم لا يجوز وضع هذه الحضارة ومستقبل

---

(١٤) د. هائب عريقات العدد السابق.
(١٥) المصدر السابق.

أجيال الغرب بين أيدي جماعات متخلفة وجهلة . أما وسائل الاعلام الصهيونية فقد احتلت الحملة ضد العراق جزءً كبيراً فيها وأصبح العراق شغلها الشاغل فحين الاعلان عن تشكيل فريق تدريبي للطيران بين العراق والاردن شنت (اسرائيل) وعبر وسائل اعلامها حملة ليس على العراق فحسب بل على الاردن كذلك رافقت هذه الحملة بالتوعيد والتهديد للاردن، وغدا الطيران الاردني الذي كان يقوم بدورات استطلاع عادية ما هو الا طيران يحمل أجهزة تصوير متطورة يقوم بمهام لصالح العراق على طول الحدود الاردنية الفلسطينية وأصبح أي تقارب اردني عراقي أمراً مرفوضاً من (اسرائيل) بل يصور كأنه أعداد العدوان ضدها (١٦).

اذن كل شيء كان مهيئاً للتدخل الغربي وخاصة الامريكان، لتأتي الازمة العراقية - الكويتية التي تصاعدت بطريقة غير طبيعية والتي عرف فيما بعد بأنها مرتبة بطريقة استفزازية ضد العراق، لتكون المبرر الذي دفع أمريكا لأن تعد قواتها سلفاً لاستعمار المنطقة والاستيلاء على مصادر النفط، واتخاذ العدة لتدمير القدرة العسكرية الوطنية التي كما ذكرت لم ترق أبداً.

وجاء دخول العراق الى الكويت ليعطي المبرر والحجة المنظرة للهمجية الامريكية على المنطقة، فكما ذكر الملك حسين وأفادت العديد من المصادر على ان القوات الامريكية كانت في طريقها الى المنطقة قبل طلب المملكة العربية السعودية لهذه القوات، بل انها كانت في نصف الطريق، وتسارعت الاحداث العربية والدولية لتضع المنطقة برمتها على برميل بارود قابل للاشتعال في أي لحظة، بعد ان حشدت القوات الاجنبية بكثافة هائلة وبسرعة متتالية ووجدت في قرارات مجلس الامن العديدة والمتسرعة غطاءاً دولياً ليكون الوضع كأنه مسرحية معدة سلفاً، واستعد لها الممثلون بشكل جيد، بحيث أدى كل واحد منهم وحتى من الممثلين القانونيين والكتابيين دوره بطريقة ممتازة.

ولكن هل كان هذا فقط هو الذي يدعو الغرب بقيادة الولايات المتحدة لهذا الاستعمار وبهذا الشكل؟
دون شك هناك حوافز أخرى للادارة الامريكية تدفعها لهذا الاستنفار منها (١٧):-

---

(١٦) د.ذياب مقالة - الاعلام الغربي وأزمة الخليج - جريدة الدستور الاردنية ١٩٩٠/٩/١٩ .

(١٧) يوسف الفر - نائب رئيس مركز الابحاث الاستراتيجية (اسرائيل) يافا ابعاد الحرب على مسيرة السلام بين (اسرائيل) والعرب.

١- "طموح واشنطن للتفرد بصياغة نظام عالمي جديد، في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وفق تصوراتها التي تعكس التطلع للهيمنة على العالم.
٢- محاولة الحفاظ على دور الولايات المتحدة المهيمن في العلاقة مع حلفائها في حلف الاطلسي واليابان.
٣- السعي لاقامة أحلاف وتكتلات عسكرية اقليمية في ظروف انتهاء المواجهة بين المعسكرين لتأمين الهيمنة على "الجنوب" ومقدراته.
٤- محاولة تحاشي فتح ثغرة جديدة خطيرة في جدار الاقتصاد الامريكي المنهك من مرحلة سباق التسلح، قد يترتب عليها أزمة لا يمكن التكهن بأبعادها وعواقبها اذن تستطيع القول ان الهدف الامريكي هو ضرب القدرة العراقية الجديدة حتى لو انسحب من الكويت، وأقدم على تنفيذ قرارات مجلس الامن في هذا المجال، وان الولايات المتحدة لم تعد ترى في المنطقة سوى مصالحها ومصالح (اسرائيل) وتصنيفها للاصدقاء والاعداء من العرب انطلاقاً من هذا المعيار".

الخليج العربي والنظام الاقليمي الشرق أوسطي

طغى تعبير "الخليج" على غيره من التعابير تسمية للمنطقة المائية المطلة عليها ايران والعراق والكويت وقطر والبحرين والسعودية والامارات وعمان، كحل وسط بين تعبيرين من تنافسا على تسمية هذه المنطقة الاول عرف بالخليج العربي فيما عرف الثاني (بالخليج الفارسي) وهذه التسمية لم تخرج عن السياق الغربي في النظرة الى المنطقة نظرة جغرافية مصلحية بحتة، فعلى الرغم من ان المنطقة تطل عليها سبع دول عربية مقابل دولة غير عربية هي ايران، وعلى الرغم من ان شواطئ هذه الدول أضعاف الشواطئ الايرانية المطلة على هذه المياه، فان الغرب أثر على ترجيح مصطلح الخليج الفارسي، والذين ادركوا ان مصالحهم هي في المنطقة العربية أثروا الاكتفاء باستعمال تعبير الخليج وتركه مبهماً دون أي صفة، وساد هذا المصطلح دون غيره من بين العرب أنفسهم ليحل محل التعبير الاساسي "الخليج العربي".

وعلى ضوء ما أشرنا اليه آنفاً فقد تركت هذه الحرب بصماتها على مختلف مناحي الحياة في المنطقة وعلى وجه الخصوص الصراع العربي (الاسرائيلي).

بداية كان العراق قد طرح أحد الحلول بعد دخوله الكويت

وهو ان يكون هناك انسحاب متزامن من كافة الأراضي المحتلة في المنطقة ، ويقصد بذلك مباشرة أن يرتبط انسحاب من الكويت بانسحاب (اسرائيل) من الأراضي العربية المحتلة ، بل كذلك انسحاب القوات السورية من لبنان، الا ان هذا العرض قد جوبه برفض حاد من قبل الأطراف المقابلة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي رفضت الربط بينهما الا ان الادارة الأمريكية لم تستطع ان تخرج عن هذه الحقيقة الساطعة ، وهكذا فقد ألمح الرئيس الأمريكي جورج بوش ووزير خارجيته بيكر حيال استشعار الحرب ان النجاح الذي ستحرزه الولايات المتحدة في الخليج العربي هو الذي سيمنح الزخم والفرصة للجهود التي ستليها لاحلال السلام في الشرق الأوسط (١٨).

وبناء على هذا الوضع فقد وقعت الادارة الأمريكية مخططاً للمعالجة السياسية في الشرق الأوسط في أعقاب وضع الحرب أوزارها يتضمن أربع نقاط.

١- أمن واستقرار الخليج (١٩).
٢- الحد من سباق التسلح.
٣- مشكلة المنطقة الاقتصادية.
٤- النزاعات القائمة بين (الاسرائيليين) والفلسطينيين.

وساعد على ذلك كون (اسرائيل) والسعودية وسوريا قد وقعت في نفس الخندق ابان الحرب في الوقت الذي تساقطت فيه الصواريخ على الرياض وتل أبيب مما خلق بدايات ومداخل مريحة للوساطات الأمريكية.

بل ان العربية السعودية أبدت عدم معارضتها ان لم يكن استعدادها لتفعيل هذا الانفتاح على (اسرائيل)، حيث أعلم السعوديون جهاتاً أمريكية رفيعة المستوى في شباط وآذار ١٩٩١ باستعدادهم للتوصل الى اقامة علاقات كاملة مع (اسرائيل) شريطة أن يتم التوصل الى اتفاق مقبول مع الفلسطينيين (٢٠).

اضافة الى ذلك فان التحالفات التي أفرزتها الحرب ساعدت الاتجاه المنفتح على (اسرائيل) بل حسنت مكانة قسم من الزعماء العرب الذين يتوقع لهم أن يلعبوا دوراً في المسيرة السلمية ، فالرئيس المصري حسني مبارك مثلاً استكمل عملية اعادة مصر الى قيادة العالم العربي والرئيس السوري استعان

---

(١٨) يوسف الفر- المصدر السابق ص ٢٥٢ .
(١٩) المصدر السابق ص ٢٦٤ .
(٢٠) المصدر السابق ٢٤٩ .

بالائتلاف المضاد للعراق من أجل الخروج من عزلته السياسية والحصول على موافقة صامتة بصورة موسعة لاتمام عملية السيطرة على لبنان وتوسيع تأثيره على الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية (٢١).

والقيادة الفلسطينية التي تعرضت لضغوط كادت أن تودي بها لولا استمرار حالة الانتفاضة والعلاقة المميزة لهذه القيادة مع الانتفاضة وتوجيهها، والانقلاب الكلي على موقفها السابق من ام المعارك دفع بقيادة المنظمة لأن تتبوء موقعها في المفاوضات العربية (الاسرائيلية) مقابل تنازلات كبيرة عبرت عنها اتفاقية أوسلو والاتفاقيات الفلسطينية (الاسرائيلية) التي تلتها ومازالت.

اذن دفعت ام المعارك الى قيام المفاوضات العربية (الاسرائيلية) الى جانب عوامل أخرى، كانهيار الاتحاد السوفيتي والمنظومة الشرقية، وانفراد الولايات المتحدة بالساحة الدولية بعد نهاية الحرب الباردة، اضافة الى الخشية من نشوب حرب غير تقليدية، فتعرض (الاسرائيليين) وبعض العرب - السعوديين الى التهديد بل ان العنف الصاروخي زاد من مخاوف الجميع بامكانية نشوب حرب لا تقليدية دفعت بالعديد من الجهات المعنية الى الاسراع في ايصال المنطقة الى الاستقرار والبدء بالمفاوضات المباشرة.

وهكذا فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكية في السادس من شباط ١٩٩١ أمام لجنة الخارجية التابعة لمجلس النواب الأمريكي نقاط خطته الخمس الخاصة برسم العلاقات الأمريكية في الشرق الأوسط في أعقاب انتهاء الحرب وهي على النحو الاتي (٢٢):-

١- ترتيبات أمنية اقليمية جديدة في الخليج.
٢- اشراف اقليمي على التسلح.
٣- ترميم اقتصادي وتعاون اقليمي.
٤- مصالحة بين (اسرائيل) والدول العربية والفلسطينية.
٥- تقليص الاتكالية الأمريكية على الطاقة.

وهكذا نلاحظ انه سواء في برنامج الادارة الأمريكية ازاء المعالجة السياسية للشرق الأوسط أم في الخطة التي

---

(٢١) دوري جولد - أزمة الخليج والعلاقات (الاسرائيلية)- الأمريكية دار الجليل عمان ص ٧٥.

(٢٢) محمد رفا فودة - نظام عربي أم نظام شرق أوسطي -البادئ العربي - لندن عدد ٣٥ آذار ١٩٩٤ ص ١٥.

أعنفها وزير الخارجية بيكر، فان التوجه الأمريكي هو توجه نحو المنطقة برمتها وليس نحو الصراع العربي الاسرائيلي فقط، أو نحو الخليج فقط ولكننا نلاحظ ان محوري التوجه يرتكزان على الخليج وفلسطين.

فاذا كانت منطقة الخليج العربي قد أخذت وبوقت مبكر طابعها المؤسساتي "مجلس التعاون الخليجي" باستثناء العراق الذي كان له موقف متجانس من الحرب على الرغم من المحاولات المتواضعة جداً التي ظهرت بعد الحرب عند بعضهم بشكل وكأنه يغني خارج سربه، ولكن لن يطير بعيداً عن السرب في النهاية.

المسألة الفلسطينية في النظام الشرق أوسطي الجديد

اما بالنسبة للصراع العربي (الاسرائيلي) وترابط هذا الصراع بقيام نظام شرق أوسطي جديد، فان ذلك ليس مقتصراً على (الاسرائيليين) والفلسطينيين وحدهم، بل يتمتد الى الأطراف الأخرى ذات العلاقة بالعملية التفاوضية وهي مصر وسوريا والاردن ولبنان، وحيث ان مصر قد أنجزت هذه المهمة في وقت مبكر منذ توقيع الاتفاقيات (الاسرائيلية) - المصرية في آذار عام ١٩٧٩ فهي تنتظر وصول الأطراف العربية الأخرى الى حيث وصلت هي ليصار بعد ذلك الى ايجاد أشكال التنسيق فيما بينها، وحيث ان الفلسطينيين (والاسرائيليين) قد أنجزوا أهم مرحلة في ذلك اثر توقيع اتفاقية أوسلو. فقد شكلوا في ذلك نواة النظام الشرق أوسطي الجديد وهذا واضح من المادة (١٠) من الاتفاق الفلسطيني - (الاسرائيلي) أو ما عرف باتفاقية أوسلو. التي أشارت مباشرة الى تشكيل لجنة ارتباط مشتركة فلسطينية (اسرائيلية) يكون من مهامها التحاور مع الأطراف العربية الأخرى وعلى وجه التحديد مع سوريا والأردن ولبنان الطرف الأول واللجنة الفلسطينية - (الاسرائيلية) الطرف المقابل. أي ان هناك نواة لهذا النظام قد بدأت مع الفلسطينيين (والاسرائيليين)، وحيث ان الاردن قد أنجز هو الآخر صياغة معظم الاتفاقية المتوقعة بين الاردن (والاسرائيليين)، وبدا ذلك واضحاً في الاتفاق المشترك على جدول الأعمال الأردني - (الاسرائيلي) الذي وقع في (١٩٩٤/٩/١٥) وأصبح الأردن بانتظار توقيع السوريين واللبنانيين حتى يتسنى له توقيع الاتفاقية النهائية مع (الاسرائيليين) ومن ثم فهو المرشح الأقرب، ووفقاً للتفكير (الاسرائيلي) فان كونفدرالية (اسرائيلية) - فلسطينية - اردنية من المحتم أن تكون (لاسرائيل) السيطرة فيها ومن المحتم أن تؤدي الى اطفاء التشدد الفلسطيني وتوجه الضربة

القاضية للقومية العربية ذاتها، وتؤدي لواد أية محاولة لاحياء كيان عربي يسعى لمزيد من التحرر والاستقلالية، وتصبح اضافة الى ذلك الخطوة الاولى في اتجاه تحويل الشرق الأوسط الى منطقة تجارة حرة تكتسب ملامحها على يد التمويل والتكنولوجيا (الاسرائيليين) وتوفر أسواقاً للبضائع (الاسرائيلية) وتؤكد على موقع (اسرائيل) باعتبارها القلب الديناميكي للمنطقة بين البحر المتوسط والخليج العربي (فاسرائيل) تسعى حالياً الى تشكيل كيان ثلاثي يضم معها فلسطين والاردن في تجمع اقتصادي وسياسي على نمط دول البنيلوكس (هولندا، بلجيكا، اللوكسمبورغ) (٢٣).

هذا كانت المعاهدات المصرية (الاسرائيلية) قد جمدت الطرح حول النظام الشرق أوسطي حين أصبحت (اسرائيل) طرفاً واضحاً في هذه الاتفاقية، الا ان الوعي القومي العربي الرسمي فيه والشعبي قد تكفل بالرد على هذا التوجه والحد من سياسات التطبيع وتجميد ظهور الاطار الشرق أوسطي لهذا الوضع عند حدود معينة. الا ان هذا الطرح قد تجدد بوضوح وأكثر شدة في الآونة الاخيرة وقد دفعت الى ذلك عوامل عديدة منها:

- عدم مقدرة العرب على صياغة بديل واضح لكامب ديفيد بحيث اكتفى العرب بالمقاطعة لمصر دون طرح برنامج في مواجهة هذا التحدي، بل ان المقاطعة العربية لمصر قد أعطتها الفرصة لأن تقوم منفردة بمشروعها مع (اسرائيل) دون أية اعاقة بحيث انها وبعد انجازها لهذا المشروع عادت لتأخذ العرب اليه ولم تعد الى ذلك الصف العربي الرافض لهذا المشروع وقد عبر المصريون عن ذلك مبكراً حينما أشاروا مراراً الى انهم سيكونون جسراً بين العرب (والاسرائيليين).

- تعميق الخلافات العربية - العربية، اذ انه ومنذ قمة بغداد ١٩٧٩ أخذت حالة التضامن العربي التي عبرت عنها تلك القمة في التراجع والتدهور مما منح الفرصة للتجربة المصرية - (الاسرائيلية) في التقدم.

- معركة قادسية صدام بين العراق وايران وحصر هذه الحرب بين الطرفين فقط دون أن تأخذ بعداً قومياً على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها العراقيون لأن تصبح الحرب عربية - فارسية. لكن المشاركة العربية الى جانب العراق

---

(٢٣) باتريك سل - هل هناك الامل في نظام عربي في الشرق الاوسط - الباحث العربي عدد ٢٥ آذار ١٩٩٤ ص ١٥.

كانت محدودة جداً أو أقل من رمزية ، وهذا أشغل العراق القوة العربية الكبيرة في المنطقة عن مواجهة كامب ديفيد بل ان العراق الذي قاد المقاطعة العربية لمصر في قمة بغداد عاد ليقود بسبب هذه الحرب العرب الى مصر (٢٤). وهكذا عاد العرب الى مصر بطريقة خجولة مع استمرار العلاقة المصرية - (الاسرائيلية) مما أضفى الشرق أوسطي بعداً على الوضع الجديد (٢٥).

- ولكن مع العدوان الثلاثيني على العراق فقد فقد الجسم العربي مناعته ، وتسارعت الأحداث على الطريق العربي - (الاسرائيلي)، الذي تكلل بالاتفاق الفلسطيني-(الاسرائيلي) في ١٣ أيلول ١٩٩٣ وجدول الأعمال الاردني-(الاسرائيلي) في ١٥ من الشهر نفسه بحيث أصبح هناك بعد قوي للشرق الأوسط.

ان معيار قرب أو بعد العرب من النظام الشرق أوسطي هو مدى قربهم أو بعدهم من (اسرائيل). ويشير وزير الخارجية (الاسرائيلية) الى ذلك مباشرة حين يقول ان هدفنا النهائي خلق اسرة اقليمية من الأمم ذات سوق مشتركة وهيئات مركزية مختارة على غرار الجماعة الأوربية وان الحاجة الى هذا الاطار الاقليمي تقوم على أربعة عوامل جوهرية :

١- الاستقرار السياسي وذلك باضافة هيكل اقليمي منظم يحقق اطاراً جديداً للمنطقة .
٢- الاقتصاد : ويعني انشاء منظمة تعاون اقليمية تتحرك على قاعدة فوق قومية .
٣- الأمن القومي، اقامة نظام اقليمي للرقابة والرصد .

وفي هذا الصدد كانت حجة بيرس هي ان استخدام العراق الأسلحة الكيمياوية في مجرى الحرب العراقية - الايرانية أو لقمع تمرد العصابات الكردية ، ونشره صواريخ أرض - أرض الموجهة ضد (اسرائيل) والأهداف الأمريكية في السعودية ، خلال أم المعارك دليل كاف على ان المفاهيم الاستراتيجية التقليدية غدت بالية تماماً ويضيف قائلاً لقد علمنا العراق أن الحملات القسرية الباهرة قد تؤدي الى تدمير المفاعلات النووية ، ولكنها لا تستطيع اجتثاث ارادة حديدية أو نوايا شريرة .

٤- اشاعة الديمقراطية على اعتبار أن الأمم الديمقراطية لا تدخل في حرب ضد بعضها البعض (٢٦).

---

(٢٤) أحمد يوسف أحمد- العرب والتحديات الشرق أوسطية مصدر سابق ص ٥٤ .
(٢٥) شمعون بيرس - الشرق الأوسط الجديد - دار الجليل - ١٩٩٤ ص ٢٩-٨١ .
(٢٦) باتريك سل - هل هناك الأمل في نظام عربي في الشرق الأوسط مصدر سابق ص ١٦ .

اذن النظام الشرق أوسطي الذي يراد له أن يسود المنطقة يستهدف أن يكون نظاماً فوق قومي. أي يتجاوز ويتجاهل الواقع القومي العربي لهذه المنطقة، حيث يبدأ بادخال (اسرائيل) كحالة غير عربية ثم يراد له أن يمتد فيما بعد ليضم كل من ايران وتركيا وهكذا فان النظام الشرق أوسطي المطروح يشمل أطرافاً غير عربية مثل (اسرائيل) وايران وتركيا وكل من هذه الدول مصممة على الدفاع عن مصالحها ونفوذها بل والسعي لدعمها وزيادتها وهو ما يتم بصفة عامة على حساب العربي.

الخاتمة

من خلال ما تقدم نلاحظ ان مشروع النظام الشرق أوسطي الجديد، هو مشروع استعماري قديم تراقق مع المصالح الغربية في المنطقة وان أخذ تسميات متعددة لكنه بقي يعني المفهوم نفسه، وهو النظر الى المنطقة نظرة جغرافية مصلحية بعيداً عن الواقع الحضاري والقومي لها، بل متجاهلاً الهوية القومية العربية الاسلامية لهذه المنطقة، مما يعني انه محاولة لتشكيل اطار لتذويب هذه الهوية، عن طريق اخراج وحدات منها وخاصة مناطق المغرب العربي في المدى المنظور وادخال وحدات خارجة عن اطار هذه الهوية، حين تدخل (اسرائيل) على انها احدى الوحدات المؤسسية له، وحين توضع تركيا وايران على قائمة هذا النظام ومن ثم فهو لن يكون اطاراً للتفاعل بين العرب وجيرانهم، بل غطاءً للتفاعل بين وحدات مختلفة في المنطقة تربطها الهيمنة الامريكية.

فالدخول في هذا النظام لن يكون على شكل تجمعات أي لن يدخل العرب باطار جامعة الدول العربية، أو باطر المجالس الاقليمية التي شكلوها، انما سيدخل العرب بشكل فرادى، كي لا يشكلوا حالة أو تكتلاً داخل هذا النظام وبدا هذا واضحاً من الاصرار (الاسرائيلي) والامريكي حين بدأت المفاوضات، فقد أصروا على أن تكون هذه المفاوضات ثنائية ومباشرة، وثنائية تعني نقل طبيعة الصراع والمنطقة من صراع عربي - (اسرائيلي)، على الوجود الى نزاع ثنائي بين كل دولة مجاورة (لاسرائيل) (واسرائيل)، أي افراغ هذا الصراع من محتواه الجوهري، اضافة الى ادخال كل وفد عربي مفاوض في متاهات ومسارب بعيداً عن الوفود الاخرى لزرع الشك والريبة حتى بين الوفود العربية المتفاوضة لهذا لاحظنا انه طيلة مسيرة المفاوضات لم يسمح حتى بتشكيل لجنة عربية على الاقل من الاطراف العربية المفاوضة لايجاد نوع من التنسيق بينها، بل كان الاصرار على الدخول الى المفاوضات فرادى ومن ثم الدخول للنظام الشرق أوسطي الجديد أيضاً فرادى.

ان النظام الشرق أوسطي الذي يراد لمنطقتنا سيكون دون مشاركة عربية فاعلة يمكن لها ان تحصن الحالة العربية وتحول دون تذويبها، فهو من منتج أمريكي وواحد من مجموعة من الأنظمة الاقليمية التي رسمت السياسة الأمريكية خطوطها الرئيسية في اطار تصورها للنظام العالمي الجديد"، فهو يحرم كل أشكال القتال ويفرض على النشاطات الشعبية المناهضة له قيوداً قاسية كما انه سيحرم قوى المجتمع العربي من التعبير والمشاركة في الحياة السياسية، مقابل حضور قوى وفعال للكيان الصهيوني المتقدم تكنولوجياً ومادياً والموحد الارادة والبنية والمدعوم من راعي هذا النظام وهو الادارة الأمريكية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل ان الطريق ممهدة وسالكة أمام هذا النظام أم ان هناك عقبات سوف تقف في طريقه على الرغم من كل العوامل المساعدة على قيام مثل هذا النظام التي اشرنا اليها في متن هذا البحث ولكن بالمقابل نرى ان هناك عوارض عديدة قد تعتريه، فالحالة بأجمعها لا تحظى بتأييد شعبي عربي وان لم تظهر حالات تعبيرية رافضة الا ان هذا يبقى كامناً لدى الناس بحيث انه في المقابل لم يعبر عن رضاه عما يجري، كما ان قوى الرفض لهذه الحالة مازالت ملاصقة للناس وان تراجع دورها بشكل واضح في الآونة الأخيرة لكنها بقيت مدركة لمشاكلهم وهي قادرة أن تدعو للسير في طريق يوصل الناس الى تحقيق أهدافهم ثم ان التجربة المصرية - (الاسرائيلية) التي تعد النموذج المبكر والأرضية التي هيأ لما يسمى بالنظام الشرق أوسطي الجديد، لم تلقى بعداً شعبياً داخل الشعب المصري بل بقيت محصورة في نطاق الأجهزة الرسمية المصرية. اضافة الى ذلك فان هناك قوى وطنية وعسكرية - الانتفاضة - حماس - لم تكتف بالرفض اللفظي لهذه الحالة فهي تمارس عملاً عسكرياً في مواجهتها وان كانت فاعلية ذلك محدودة. كذلك فان أطرافاً عربية واقليمية تسير في نهج مخالف للحالة المراد انتشائها في المنطقة فالعراق وليبيا والسودان يأخذون نمطاً في الحياة السياسية بالاتجاه المعاكس وان كان تأثيرهم حالياً على الوضع ليس بذي فاعلية، كذلك فان الخطاب السياسي الرسمي لايران المعلن هو الآخر يسير في اتجاه معاكس للنظام الشرق أوسطي الجديد. واذا ما أدركنا ان العراق وايران يمثلان ثقلين كبيرين في المنطقة سواء من الناحية الستراتيجية أو من ناحية امتلاكهما لهائل من مصدر الطاقة، كل هذه العوامل وغيرها تعتقد انها ستشكل حالة مناهضة للنظام الشرق أوسطي الجديد، ولكن تبقى هذه العوامل ذات محدودية التأثير على المسار العام للمنطقة ان لم يكن هناك حوار أو تنسيق وتضامن وتحالف بين كل هذه الفعاليات.

* * * * * * * * * *